(مقال مراجعة موضوع)

2 – رؤية مؤرخي الدولة الفاطمية للقاضي النعمان (ت 363هـ)

Muslim Historians' Views on Judge Al-Nuʿman (d. 363 AH)

بقلم الأستاذ المساعد الدكتورة: نضال غالي يوسف الشافعي

باحثة في التاريخ الإسلامي / مناهج المؤرخين

المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف

Assistant Professor Dr. Nidal Ghali Yousef Al-Shafi'i

Researcher in Islamic History / Historiography

General Directorate of Education, Najaf Governorate

Alshafeayanidhal@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/2/23 **تاريخ النشر: 2026/3/25**

الملخص

حكمت الدولة الفاطمية في المغرب ومصر لأكثر من 260 سنة، ما بين سنتي (297–567هـ / 909–1171م). وقد شكّلت هذه المدّة الطويلة عاملًا مشجّعًا للمؤرخين لتناول الدولة الفاطمية في الكتابة عن مختلف مفاصل الحكم فيها. وكان من بين أبرز الشخصيات التي تناولها المؤرخون قاضي الدولة الفاطمية، القاضي النعمان، لما له من منجزات عديدة قدّمها للدولة، غير أنّ رؤى المؤرخين حوله اختلفت، فتأرجحت بين مادحٍ وقادح.

الكلمات المفتاحية: القاضي النعمان، الدولة الفاطمية، رؤى المؤرخين.

Summary

The Fatimid State ruled both Morocco and Egypt for more than 260 years, between 297 and 567 AH (909–1171 AD). This long period encouraged historians to write extensively about various aspects of its rule. Among the figures discussed was Judge Al-Nuʿman, whose achievements generated divergent historical views, ranging from praise to criticism.

Keywords :Judge Al-Nu‹man ,the Fatimid State ,historians ‹visions

مقدمة

لا نكاد نجد من بين رجال الدولة الفاطمية من خدم دعوتها، وكتب عن معتقداتها، ودافع عنها، وأرّخ لخلفائها بإخلاص، كالقاضي النعمان؛ تلك الشخصية التي تناولتها أغلب أقلام المؤرخين، سواء في حياته الشخصية أم في منجزاته التي قدّمها للدولة الفاطمية. غير أنّ هؤلاء المؤرخين اختلفت رؤاهم في الكتابة عنه، فتأرجحت بين مادحٍ وقادح، ومن أجل الاطلاع على تاريخه كان لا بدّ من الوقوف على رؤى المؤرخين الموثوقين الذين أرّخوا له.

القاضي النعمان هو: النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي، ويُكنّى بأبي حنيفة، وهو عربي الأصل. ولا يُعرف تاريخ ولادته على وجه الدقّة، غير أنّ المؤرخين قدّروه ما بين سنتي (259هـ / 873م) و(293هـ / 906م).

ولا يعرف مكان ولادته بالضبط ولكن من المرجح انه ولد في مدينة القيروان ، لأن اباه محمد كان داعياً للفاطميين في مدينة القيروان وقد تجاوزه عمره مائة واربع سنين وحينما مات دفن فيها عند باب سلم وهذا ما ذكره المؤرخ ابن خلكان (ت 681هـ) في وفيات الاعيان ، وخير الدين الزركلي في الاعلام .

بدأ القاضي النعمان حياته حينما دخل في خدمة الخليفة المهدي الفاطمي (ت 322هـ/934م) وذلك حينما ذكر ذلك في كتابه (المجالس والمسايرات) قائلاً:((وخدمت المهدي بالله من اخر عمره تسع سنين وشهورا وايام ، والقائم بأمر الله (ت 334هـ/946م) من بعده ايام حياته في انهاء اخبار الحضرة اليهما في كل يوم طول تلك المدة)).

ويمكن القول انه دخل في خدمة الدولة الفاطمية وقد مضى على تأسيسها سبعة عشر عاماً، ولكن المصادر التاريخية لم

توضح شيئاً عن هذه الخدمة سوى انه كان يقوم بنقل اخبار عاصمة الخلافة الى المهدي الفاطمي وولده القائم من بعده وان هذه الوظيفة كانت تسمى بالشرق ب (ديوان الخبر او ديوان الرسائل)،

ولم يكن هذا فحسب انما خدم القاضي النعمان المنصور الفاطمي (ت 341هـ/953م) ابن القائم الفاطمي منذ ايام جده المهدي حيث كان عمره دون سن العشرين واستمرت علاقته بيه طيلة ايام القائم الفاطمي حيث كان يورق له ويجمع له الكتب فيرعاه المنصور بالإحسان اليه وعندما الت اليه الخلافة استقضاه فكان اول من استقضاه . حيث وصف النعمان علاقته بالمنصور الفاطمي بأنه اعلى ذكره ورفع قدره وانعم عليه وجعله قاضيا بطرابلس لا نها كانت امتداد لا فريقيا منذ حكم بني الاغلب(184هـ/800م ـ 296هـ/909م) .

ولكن المنصور استقدمه من طرابلس لعاصمته الجديدة المسماة (المنصورية) سنة (337هـ /938م)، حيث خلع عليه واحاطه بمظاهر التكريم ثم امره ان يقيم صلاة الجمعة ويخطب بجامع القيروان وعهد اليه القضاء في القيروان والمنصورية معاً .

ان عمل القاضي النعمان في القضاء لا يخلو من المضايقات واللوم لأنه لم يكن بالقاضي الشديد الصارم ، ولكن مع هذا تطور عمل القاضي النعمان حتى اصبح قاضي للقضاة فكان دائماً يوصي القضاة الخارجيين لأعمالهم بواجب الوفاء واداء الامانة فيما قلدوه .

اما علاقته مع المعز الفاطمي (ت 365هـ/975م) فقد وثق القاضي النعمان تلك العلاقة في كتابه (المجالس والمسايرات) والتي تعود جذورها منذ خلافة والده فقد كان يراجعه فيما اعد من تقارير للخليفة فيشير عليه المعز الفاطمي بما يرفع وبما يترك منها حيث كان كثير التدخل من اجل فائدته لدعمه وشد ازره . ولما مات الخليفة المنصور الفاطمي جزع عليه النعمان وحزن كثيراً فقال له المعز : ((يا نعمان ليحسن عزاؤك ويجمل صبرك فمولاك مضى ومولاك بقي .. نحن كنا سببك عنده ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك ان شاء الله)) .

فأصبح القاضي النعمان في عهد خلافة المعز شخصية اخذت ابعاد كبيرة فلم يعد مجرد قاضي القضاة الموظف بل اصبح يسهم في تركيز الدعوة الفاطمية وبسط عقيدتها وتدوين فقهها وتسجيل امجادها مما جعل منه دعامة قوية للفكر والفقه

الاسماعيلي ولاسيما عندما اعد المعز مجلساً لصلاة الجمعة يقرأ فيه القاضي النعمان كتب من علم الباطن فكثر الناس حتى ازدحم بهم المكان لأجل سماعه .

سكن القاضي النعمان مع الخلفاء الفاطميين في داخل مدينة المنصورية ثم اقطعه المعز ارضاً لبناء دور الى اولاده وبناته والاهم من ذلك انه لم يفارق المعز الفاطمي حتى عندما سار لتولي امر الديار المصرية حيث كانت مهمته تولي امر القضاء في العسكر وعندما وصلوا هناك صلى معه صلاة العيد في الجامع الذي بناه جوهر له وبعدها ذهب معه لزيارة الاسطول البحري في المقس .

اما بالنسبة لتولي وظيفة القضاء في مصر فقد اقر عليه القاضي مسبقاً ابو الطاهر الذهلي البغدادي حال وصول المعز الى مصر، ولكن اول ما فوض المعز القاضي النعمان للقضاء كانت عندما رفع اليه تظلم بشأن الضيعة التي كانت تعود ملكيتها الى محمد بن علي الماذرائي التي حبسها ثم باعها بالمصادرة فأمره المعز بالنظر في امرها .

سكن القاضي النعمان مدينة مصر ويذهب منها الى القاهرة عاصمة المعز في كل يوم ليشغل منصب القضاء مناصفة مع ابو الطاهر الذهلي، وكان للقاضي النعمان ولدين هما علي بن النعمان (ت 374هـ/ 984م) ، و محمد بن النعمان (ت 389هـ/998م)، قد عملا في منصب القضاء ودار الضرب بعد وفاة والدهما وليس هذا فحسب انما انتق منصب القضاء الى حفيد القاضي النعمان عبد العزيز بن محمد بن النعمان (ت 398هـ/1007م) .

اما اعماله التي قدمها القاضي النعمان للدولة الفاطمية هو تأليفه للكتب والتي جاءت اغلبها بطلب من الخلفاء الفاطميين فمن جملة تلك الكتب هي كتاب افتتاح الدعوة للعبيدين وكتاب دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام حيث عد هذا الكتاب عند الخلفاء الفاطميين مهم جداً واخص بالذكر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله (ت427هـ/1036م) ، الذي طلب من الدعاة تشجيع الناس على حفظه حيث جعل لمن يحفظه مكافأة مالية مجزية، والكتاب الاخر هو (تأويل دعائم الاسلام) المجلد الاول منه يسمى (تربية المؤمنين)، وكتاب المجالس والمسايرات والذي كان فيه القاضي النعمان حريص على تسجيل وتوثيق كل الاحداث اليومية التي تحدث في مجلس الخليفة المعز حيث كان الكتاب اشبه بالسجل اليومي لكل حدث

يقوم به المعز، وايضا كتاب الاقتصاد في فقه الشيعة، وكتاب المناقب والمثالب و القصيدة المنتخبة ، وردوده على المخالفين مثل ابو حنيفة، ومالك، والشافعي، وكتاب اختلاف الفقهاء الذي ينتصر فيه لأهل البيت (عليهم السلام)، ومن المؤسف ان اغلب مؤلفات القاضي النعمان فقدت ولم تصل الينا.

اما رؤى المؤرخين الذين وثقوا اخبار القاضي النعمان في مؤلفاتهم فقد اختلفت وتباينت فيما بينهم فكانت ما بين مادح وقادح ولربما يعود السبب في ذلك الى مذهب القاضي النعمان والفقه الشيعي وكتبه التي الفها حيث وثق بها اخبار اهل البيت (عليهم السلام) .

فمن رؤى المؤرخين المادحين له هو المؤرخ ابن خلكان فقد قال عنه في مؤلفه (وفيات الاعيان) : ((النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من اهل القرآن والعلم بمعانيه وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء، واللغو، والشعر، والمعرفة بأيام الناس مع عقل وانصاف والف للأهل البيت من الكتب الاف بأحسن تأليف واملح سجع « وقال في مذهبه : ((كان مالكي المذهب ثم انتقل الى مذهبه الامامية)) .

ان المؤرخ ابن خلكان قد صرح في مؤلفه (وفيات الاعيان) عن مصادره التي استقى منها معلوماته ودون اخبار القاضي النعمان وهما كتاب (فضائل مصر واخبارها) للمؤرخ ابن زولاق (ت 378هـ/997م) الذي عاصر القاضي النعمان، وكتاب (اخبار مصر) للمؤرخ المسبحي (ت 422هـ/1029م) الذي عاصر الدولة الفاطمية ايضاً .

واما رؤية المؤرخ ابن شهر آشوب (ت 588هـ) كانت مادحة للقاضي النعمان الذي دون اخباره في مؤلفه (معالم العلماء)، قائلاً:((ليس بإمامي وكتبه حسان))، ومن الواضح للعيان انه لم يصرح عن مذهبه عند ذكر اخباره .

وايضاً رؤية المؤرخ اليافعي (ت 768هـ/1367م) كانت مادحة له لأنه سار على حذو ابن خلكان حيث ذكر اخبار القاضي النعمان في مؤلفه (مرآة الجنان) قائلاً: ((كان من اوعية العلم والفقه والدين)). وهنالك جملة من المؤرخين قد ذكروا القاضي النعمان في مؤلفاتهم وكانت رؤاهم مادحة له ومكرره في الوقت ذاته لما ذكره المؤرخ ابن خلكان فلم اشأ ان اذكرها مرة اخرى انما اكتفيت بتنويه عن اسماء اولئك المؤرخين ومؤلفاتهم وهم الزركلي مؤلفه (الاعلام)، والسيد بحر العلوم ومؤلفه (الفوائد الرجالية)، والسيد ابو القاسم الخوئي، مؤلفه(معجم

رجال الحديث) .

اما المؤرخون القادحون في رؤيتهم للقاضي النعمان كان في مقدمتهم المؤرخ الذهبي (ت 748هـ/1348م)، فقد ذكر اخبار القاضي النعمان في مؤلفه (سير اعلام النبلاء) قائلاً : ((العلامة المارق قاضي الدولة العبيدية ... كان مالكيا فارتد الى مذهب الباطنية ونبذ الدين وراء ظهره. ورد على ائمة الدين وانسلخ من الاسلام فسحقاً له وبعداً ونافق الدولة لابل وافقهم)) وقال فيه ايضاً: ((كان علمه وبالاً عليه . وانتقل الى غير رضوان الله في رجب سنة 363هـ))

ويبدو ان الذهبي كان شديد التحامل على النعمان حتى انه خرج عن حيادية المؤرخ اثناء الكتابة والسبب في ذلك هو مذهب القاضي النعمان.

وحذا حذو المؤرخ الذهبي، ابن حجر العسقلاني (852هـ/1449م) وذلك عندما ذكر اخبار النعمان في مؤلفه (لسان الميزان) قائلاً : ((فصنف لهم التصانيف على مذهبهم .. وفي تصانيفه ما يدل على انحلاله))، والسبب واضح في رؤيته له وهو مذهبه المغاير لمذهبه .

اما المؤرخ ابن العماد الحنبلي فقد ذكر القاضي النعمان في مؤلفه (شذرات الذهب) قائلاً: ((الشيعي ظاهراً الزنديق باطلاً)) وقال ايضاً : ((وكتبه كثيره تدل على انسلاخه من الدين يبدل معاني القرآن ويحرفها)) والسبب هو مذهبه ايضاً .

ومن الملفت للانتباه ان المؤرخ ابن تغري بردي (ت 874هـ/1470م)، بالرغم انه ذكر كل اخبار الدولة الفاطمية جملة وتفصيلاً ولكن اخبار القاضي النعمان لم يذكر منها سوى الجزء اليسير منها المتعلق بمذهبه عندما ذكر اخبار من مات في سنة 363هـ قائلاً : ((النعمان بن محمد المغربي الباطني قاضي مصر وكان حنفي المذهب)) . اكتفى بهذا القدر ولم يوضح رؤيته له هل هو مادح ام قادح له .

يبدو ان اغلب المؤرخين كانت رؤاهم للقاضي النعمان قادحة لا مادحة لابل الاكثر من ذلك كانوا متحاملين عليه بالشكل الذي اطالته اقلامهم بالشتم والسباب حتى بعد وفاته والسبب الرئيسي هو مذهبه الاسماعيلي متناسين القول المشهور ((الناس على دين ملوكهم)) وهو ان القاضي النعمان عاش في احضان الدولة الفاطمية ونال الحظوة من خلفائها الذين اغدقوا عليه الهدايا والعطايا والرواتب الشهرية فمن الطبيعي ان يلتزم القاضي النعمان بأفكارهم ومعتقداتهم ومذهبهم وان

يلبي طلبهم بنقل تلك الافكار والمعتقدات وتعليمها الى جميع الناس في مصر .

المصادر والمراجع

1ـ شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر(ت681هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: احسان عباس ، دار صادر (بيروت ـ 1994) .

2ـ خير الدين الزركلي ، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط5 (بيروت ــ 1980) .

3ـ القاضي النعمان محمد بن حيون (ت363هـ)، المجالس والمسايرات ، تحقيق : الحبيب الفقي واخرون ، دار المنتظر (بيروت ـ 1996) .

4ـ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (845هـ) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، نشر لجنة احياء التراث الاسلامي (القاهرة ــ 1996) .

5ـ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (ت 852هـ)، رفع الاصر عن قضاة مصر، (بلا . م ــ بلا . م) .

6ـ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مطبوعات الاعلمي ، ط3(بيروت ــ 1986) .

7ـ ابن شهر آشوب ، محمد بن علي بن ابي نصر بن ابي الجيش (ت 588هـ)، معالم العلماء مؤسسة ال البيت لاحياء التراث) ، (قم المقدسة ــ بلا . م) .

8ـ اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سلمان (ت 768هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية (بيروت ـ 1997) .

9ـ السيد مهدي بحر العلوم ، الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة العلمين (النجف الاشرف ـ بلا . ت).

10 ـ السيد ابو القاسم الخوئي ، معجم رجال الحديث ، مطبعة النجف ، ط5 (النجف ـ 1992)

11ـ الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله ، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت 748هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت ـ 1993) .

12ـ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (1089هـ)، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، دار بن الكثير (بيروت ـ 1989) .

13ـ ابن تغري بردي ، ابو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب (القاهرة ـ بلا . ت) .